مقالة الرأي

التنوّع، عامِل قوة أم عائق في السياسة الخارجية؟

أيمن الفيصل

تصـــدر عن مركـز رواق بـــغداد للسياســـات العـــامة
Published by Rewaq Baghdad Center for Public Policy

14 حزيران 2025

مِداد مشروعٌ بحثي يعنى بتقديم اوراق وافكار دقيقة عبر سلاسل، وحلقات متكاملة، تحاول ان تغطي الطيف الواسع من المشكلات التي تواجه قطاعات الدولة العراقية بكل اركانها، ويعتمد بشكل اساس على اوراق السياسات العامة، والسيمنار، والحوارات المعمقة، بين مختلف الاطراف، من صناع القرار في الحكومة التنفيذية، الى التشريعين في مجلس النواب، فضلا عن الباحثين والخبراء في الجامعات ومؤسسات البحث العراقية، وهو احد مشاريع مركز رواق بغداد للسياسات العامة، و يعد هذا المشروع امتداداً للجهد الذي بذل على مدى خمس سنوات من عمر المركز الذي تأسس في العام 2019، اذ قدم خلال تلك السنوات عشرات الدراسات والمشاريع البحثية والأوراق التي نشرت في الموقع الإليكتروني لمركز رواق بغداد.

رئيس المركز عباس العنبوري

مدير المشروع انور المؤمن

تصميم اية الحكيم

تعود حقوق النشر الى مشروع مداد البحثي والمؤسسة المالكة له، وبالإمكان الاستفادة والاقتباس الجزئي من الاعمال البحثية مع الاشارة اليها، بالنماذج العلمية المعتمدة في كتابة المصادر، كما تجدر الاشارة الى انه لا يجوز استعمال هذه الدراسات او اعادة نشرها بأي شكل من الاشكال دون الحصول على اذن مسبق من المركز بالنسبة للمؤلف او الباحثين الاخرين.

وفيما يتعلق بأخلاء المسؤولية القانونية تجاه الاشخاص الطبيعيين او المعنويين فضلا عن الاحداث والقضايا، فأن مشروع مداد والمؤسسة المالكة له (مركز رواق بغداد) لا يتبنى بالضرورة، الآراء الواردة في هذه الدراسات التي تحمل اسماء مؤلفيها، ولا تعكس وجهة نظر فريق العمل للمركز او مجلس ادارته.

يمكن تحميل هذه الورقة مجاناً من الموقع الإليكتروني www.rewaqnaghdad.org

رقم الهاتف: 07845592793

صفحة الفيس بوك مركز رواق بغداد للسياسات العامة

صفحة الإنستغرام RewaqBaghdad

قناة اليوتيوب Rewaq Baghdad

التنوّع، عامِل قوة أم عائق في السياسة الخارجية؟

أيمن الفيصل

باحث ومهتم بالشأن السياسي

في مرحلة تتسم بالتداخل بين الداخل والخارج في صنع القرار، ظهر التنوّع كظاهرةٍ تمس جوهر الدولة، داخليًا وخارجيًا، إذ يُثير هذا التنوّع – الديني، الثقافي، اللغوي، العرقي – تساؤلات حول ما إذا كان يشكّل رصيدًا دبلوماسيًا أم نقطة ضعف، كما أن التنوّع السياسي داخل الدولة يؤثر مباشرة على كيفية صياغتها لآلياتها الدبلوماسية وتعاملها مع الفاعلين الإقليميين والدوليين، فالدولة تقف أمام خيارين: إدارة تنوعها ببراعة وتحويله إلى مصدر نفوذ عبر القوة الناعمة، أو تركه يتفاعل مع منظومة الصراعات الداخلية، فيتسبب بتشظٍ داخلي ينعكس في قراراتها الخارجية، ويُعد العراق مثالًا حيًّا لهذا التحدي؛ إذ يجمع أطياف متعددة من مكونات إثنية ودينية، ومع ذلك لم يستثمر هذا التنوع بالشكل الصحيح الذي يعزز موقعه الدبلوماسي، بل غالبًا ما انعكس هذا التنوع على شكل انقسامات داخلية تجاه القضايا الإقليمية والدولية.

التنوّع كرمز للقوة الدبلوماسية

منذ العام 1971، تبنت كندا سياسة رسمية تُعرف بالتسامح وتقدير التعددية الثقافية، "وأُرسيت هذه المبادئ في قانون التعددية الثقافية الكندي الصادر عام 1988" [1]، إذ ترى الحكومة أن التنوع الثقافي ودوره في توريث صورة منفتحة ومحترمة للعالم، يعد رصيدًا دبلوماسيًا، فعلى الصعيد الخارجي، تستخدم كندا ثقافتها المتعددة كوِساطة لبناء جسور الثقة بين الشعوب، كما تُساهم هذه السياسة في تعزيز التجاذبات الاقتصادية والثقافية، تقارير مثل تلك الخاصة بلجنة الشؤون الخارجية الكندية تؤكد أن الدبلوماسية الثقافية باتت أحد أعمدة السياسة الخارجية، وبالرغم مما حققتهُ كندا من نجاحات مختلفة، لكن يبقى التنوع يواجه تحدّيات مختلفة باستمرار، "ويظهر جانب من القلق بين فئات من الكنديين حول عبء الهجرة والتنوع على هوية الأمة" [2]، هذه المخاوف قد تتسلل إلى السياسة الخارجية خصوصًا عبر ضغوطات على الحكومات لتشديد سياسات الهجرة والتعامل مع الجاليات الأجنبية، ولكن إجمالًا، التجربة الكندية تُظهر أن التنوّع، عندما يُدار بتوافق ووفق إطار قانوني، يمكن أن يُصبح "جسرًا لتعزيز القيم العالمية وتحقيق مصالح اقتصادية وسياسية، ووريث مهم للقوة الناعمة" [3].

التنوع وانعكاسه على السياسة الخارجية

تُمثل الهند حالةً أكثر تعقيدًا بسبب تنوّعها الكبير (لغات، أعراق، أديان، طوائف)، وهذا التنوّع شكّل عبر التاريخ رأس مال للحضارة الهندية، ويمتد "أثره في السياق الدبلوماسي من خلال انتشار ثقافتها ودينها في إسقاطات نفوذها الناعم، فالرقص والموسيقى والسينما واليوغا والطعام الهندي تُستخدم كأدوات

[1]- The Canadian Multiculturalism Act plays a key role in the lives of Canadians, https://www.canada.ca/en/canadian-heritage/services/about-multiculturalism-anti-racism.html

[2]- What Is Canada's Immigration Policy? https://www.cfr.org/backgrounder/what-canadas-immigration-policy

[3]- Multiculturalism and Canada-China Relations, https://peacediplomacy.org/2022/06/30/multiculturalism-canada-china-relations/

دبلوماسية، ضمن إطار سياسات تُعرف بال "القوة الناعمة" [4]، وفي الساحة الدولية، ركزت الهند على تعزيز هويتها كنموذج للتعايش بين مختلف القوميات والأديان، خاصة من خلال مشاركتها في حركة عدم الانحياز والترويج لمبادئها من منظور "الوحدة في الاختلاف"، إلا أن هناك تحدياً داخلياً يواجه الهند يتمثل بتصاعد النزعات القومية والأحداث التي طالت الأقليات والتي أثّرت على الصورة الخارجية للهند وأثارت انتقادات من منظمات حقوق الإنسان العالمية، وانعكس ذلك في سلوكها تجاه الجالية الهندية او ما يُعرف "بالشتات Diaspora" في الخارج وأحياناً تخللت علاقات دبلوماسية ما يُعرف بالتدخل أو القمع خارج الحدود، وعلى الجانب الآخر، "ساعد التنوع على تكوين شبكة نفوذ اقتصادي وسياسي عبر الشتات الهندي" [5]، خصوصًا في أفريقيا وسائر العالم، ما أسهم في بناء العلاقات وتعزيز الفاعلية الاقتصادية من خلال الاستثمار والاحتلال السياسي في دول متعددة.

التحدي والفرص في إدارة التنوع

يمتلك العراق من عناصر قوة التنوع ما يمكن أن يُحوّله إلى مركز توازن إقليمي متميز، فوجود مكونات دينية ومذهبية وقومية مختلفة من الشيعة والسنة والأكراد والعرب والتركمان والمسيحيين والإيزيديين والصابئة "يمنح العراق قاعدة بشرية وثقافية تمكّنه من أن يتحدث بلغات متعددة، ويتواصل مع عوالم متباينة" [6]، ويؤدي دور الوسيط الطبيعي بين القوى المتصارعة في المنطقة، لكن الفرق بين امتلاك هذا التنوع واستثماره يعود إلى الإرادة السياسية وإدارة الدولة، فعلى غرار كندا، يستطيع العراق أن يستثمر هذا التعدد في سياساته الخارجية بعدة طرق: **اولاً**: القوة الناعمة الثقافية: بإحياء الموروثات المتنوعة، وتسويق صورة العراق كأرض حضارات وقيم مشتركة، لا كبلد منقسم، **ثانياً**: الدبلوماسية الشعبية: عبر "إشراك الشتات العراقي المتنوع حول العالم في بناء العلاقات مع الدول" [7]، كل وفق خلفيته القومية أو الدينية، **ثالثاً**: الوساطة الإقليمية: لأن العراق يضم أطيافًا لها امتداد ديني أو عرقي في دول الجوار، يمكنه أن يقدّم نفسه كوسيط يُفهم الطرفين، لا كطرف متحيّز.

ورغم هذه الإمكانيات، يعاني العراق من تحديات عميقة تعيق تحول تنوعه إلى عنصر قوة في السياسة الخارجية، أبرزها، غياب عقد وطني جامع إذ لا يزال التنوع في العراق يُنظر إليه كأداة محاصصة لا كقيمة وطنية، والنفوذ الخارجي المُستند إلى الانقسامات، وضعف المؤسسات التمثيلية، إذ لم تطور بعد

---

[4]- Soft Power: India's Foreign Policy Option, https://www.jstor.org/stable/24701147?utm_source
and :The Influence of Culture on India’s Foreign Policy
https://valdaiclub.com/a/highlights/the-influence-of-culture-on-india-s-foreign-policy/

[5]- Indian diaspora as an instrument of India’s soft power, https://www.elgaronline.com/display/edcoll/9781786437730/9781786437730.00023.xml

[6]- Social, Religious and National Diversity in Iraq and its Importance in Building Citizenship and Peaceful Coexistence, https://iraq.un.org/en/122863-social-religious-and-national-diversity-iraq-and-its-importance-building-citizenship-and

[7]- Iraqi Foreign Policy And Diaspora Communities, https://igfa.iq/en/467

آليات فعالة لإدارة التنوع سياسيًا، والأمن والهوية اللذان ما زالا يُشكلان هاجساً لبعض شرائح المجتمع العراقي إذ يشعرون بعدم الأمان أو التهميش، ومن أجل تحويل التنوع من عبء إلى قيمة وطنية عُليا، يجب أن ينطلق العراق من الداخل، فالإصلاح السياسي الحقيقي الذي يرسّخ مفهوم المواطنة، ويعزز تمثيل جميع المكونات بشكل عادل، هو المدخل لأي سياسة خارجية متزنة، وعندها يمكن للعراق أن يقدّم تنوعه كقوة لا كأزمة.

الثمرة السياسية في إدارة التنوّع

- في كندا، يُستخدم التنوّع كقوة ناعمة لبعث رسائل التسامح والاستثمار، وتلك الرسالة تزيد مصداقية موقفها بزيادة الإيرادات التجارية وجذب الاستثمار.
- في الهند، التنوع الثقافي والديني أداة لتعزيز التأثير العالمي، لكنه أيضًا قنبلة داخلية موقوتة حينما يفلت من الضبط السياسي، كما في ملف الأقليات.
- في العراق، التنوع لا يزال مادة خلاف داخلي، وبالتالي لا يُترجم إلى سياسة خارجية مستقلة أو فاعلة لكنّه، نظريًا، يملك كل المقوّمات ليكون عنصرًا فعّالًا في بلورة علاقات متوازنة ومتعددة الاتجاهات، إذا ما وُجدت الإرادة لذلك.

الخُلاصة:

التنوّع ليس قدرًا تملي عليه الدولة حجمها السياسي الخارجي، بل على العكس هو عاملُ قوة محتمل إذا أُدير بحكمة وتوافق داخلي، يتحوّل إلى أداة نفوذ ناعمة في مواجهة تداعيات التنافس العالمي، أما دون ذلك، فقد ينقلب عليه وينعكس سلبًا على قدرة الدولة على المعارضة والتحاور والمناورة في المشهد الدولي، كندا والهند مثالان على آليات التنوّع المتناقضة بين النجاح والتصدع في السياسة الخارجية، والعراق يقف على مفترق طرق، بين أن يستثمر تنوعه لصناعة سياسة خارجية مرنة، أو يبقى أسيرًا له في الداخل، إذ من الممكن ان يكون التنوّع رصيدًا دبلوماسيًا من خلال إدارة داخلية رشيدة ومؤسسات تمثيلية عادلة، والدول التي تستثمر في ثقافاتها المتنوعة تبني لنفسها صورة إيجابية في المجتمع الدولي، وما يحتاجهُ العراق هو تحويل التنوع من أداة للصراع إلى أداة للتفاوض.